كتاب المعتمد
في أصول الدين

تصنيف الشيخ الإمام ركن الدين محمود بن محمد
الملاحمي الخوارزمي

(ت ٥٣٦/١١٤١)

عني بتحقيق ما بقي منه

مارتن مكدرمت ويلفرد ماديلونغ

الهدى لندن
1991

مقدمة

تتضمن هذه الطبعة الأقسام المتواجدة من **كتاب المعتمد في أصول الدين** للمتكلم المعتزلي الخوارزمي ابن الملاحمي. ولا يعرف الكثير عن المؤلف، أما اسمه الكامل فهو حسب مخطوطات كتبه ركن الدين محمود بن محمد الملاحمي الخوارزمي. ويذكره بشكل وجيز ابن المرتضى (توفي سنة ٨٤٠)، المؤلف المتأخر لطبقات المعتزلة ويصفه بأنه من تلامذة أبي الحسين البصري (توفي سنة ٤٣٦)، الذي هو مؤسس آخر مذاهب المعتزلة في علم الكلام.[١] ويبدو أن هذا الوصف مبنيّ كليًّا على اتباع ابن الملاحمي لآراء أبي الحسين ودفاعه عنها في معظم تعاليمه. وفي الواقع، عاش ابن الملاحمي حوالي القرن بعد معلّمه المزعوم، وتوفي ليلة الأحد في ١٧ ربيع الأول سنة ٥٣٦. وقد ذُكر هذا التأريخ في حاشية في مخطوطة تضمّ سيرة حياة مفسّر القرآن المعروف وعالم النحو المعتزلي الخوارزمي الزمخشري (توفي سنة ٥٣٨)، كتبها معاصره الخوارزمي الأصغر سنًّا منه، عبد السلام بن محمد الأندرسباني.[٢] ويذكر الأندرسباني ابن الملاحمي مرتين في سيرة حياة الزمخشري،

---

[١] ابن المرتضى، **طبقات المعتزلة**، تحقيق س. ديوالد-ولزر بيروت ١٩٦١، ص ١١٩. يصف ابن المرتضى ابن الملاحمي بأنه مؤلف **المعتمد الأكبر**. وهو ينسب خطأً كتابه **الفائق** إلى أبي الحسين البصري. وبالنسبة لأبي الحسين البصري، راجع المقالتين عنه في: *EI*[II] suppl. (W. Madelung) وفي: *E. Ir.* (D. Gimaret)

[٢] نشر عبد الكريم اليافي هذه السيرة مع الحاشية في **سيرة الزمخشري جار الله**، في مجلة **مجمع اللغة العربية** بدمشق، ٥٧، ١٩٨٢، ص ٣٦٥-٣٨٢ (على أساس النص الذي

مسمّياً إيّاه ركن الدين محمود الأصولي، ويذكر أنه قرأ تفسير القرآن على الزمخشري، بينما أخذ الزمخشري علم الأصول من ابن الملاحمي في نفس الوقت.[٣] وكان هذا بلا شكّ في الجرجانية، عاصمة خوارزم، حيث عاش الزمخشري، وفي وقتٍ كان هو وابن الملاحمي عالمين مشهورين في حقليهما. ويصف صاحب سيرة الزمخشري هذه ابن الملاحمي بأنه كان معروفاً بالكلام فريد دهره في هذه الصنعة، وبأنه صاحب تصانيف كثيرة، يذكر منها: (١) **المعتمد في أصول الدين**، في أربعة مجلدات، (٢) **الفائق في الأصول**، وهذا الكتاب موجود في عدّة مخطوطات، وأُتِمَّ ليلة الأربعاء في ٧ ربيع الآخر سنة ٥٣٢، حسب ما ذكره ابن الملاحمي في نهايته. (٣) ردٌّ على الفلاسفة بعنوان **تحفة المتكلمين في الردّ على الفلاسفة**، وقد ذكر المؤلف الزيدي محمد بن الحسن الديلمي هذا الكتاب في كتابه **قواعد عقائد آل محمد**، المكتوب في اليمن

حققه ا. ب. خالدوف أولاً في لينتگراد سنة ١٩٧٩). ويرد اسم ابن الملاحمي في الحاشية كركن الدين محمود الأصولي بن عبيد الله الملاحمي (ص ٣٨٢). وتستشهد الحاشية ببعض أبيات الشعر للزمخشري ألّفها عند وفاة ابن الملاحمي، يعرب فيها عن حزنه لأن أهل العدل، أي المعتزلة، في خوارزم قد فقدوا نورهم. وفي حاشية بخط يد ابن الملاحمي، نوردها في الحاشية رقم ٥ هنا، يدعو ابن الملاحمي نفسه محمود بن عبد الله الأصولي الخوارزمي. لذلك، فهنالك بعض الشك حول اسم والده. وقد يكون إما محمد أو عبد الله (عبيد الله ؟) هو اسم جدّه.

[٣] ص ٣٦٨، ٣٧٩، ويستشهد طاشكبريزاده في **مفتاح السعادة**، (القاهرة ١٩٦٨، ج ٢، ص ١٠٠)، بالنص الأول. وبالإضافة إلى ابن الملاحمي، يذكر الأندرسباني أن الإمام المنصور (ص ٣٧٩: الشيخ أبو منصور صاحب الأصول) تعلّم أيضاً التفسير من الزمخشري، وعلّمه الأصول. وقد يكون أبو المنصور هذا هو نفس شيخ الإسلام أبو منصور نصر الحارثي الذي يذكره ابن أخت الزمخشري كشيخ من شيوخ خاله (راجع ياقوت، **إرشاد الأريب**، تحقيق د. س. مارغوليوث، لندن ١٩٠٧-١٩٢٦، ج ٧، ص ١٤٨). ولا يُعرف أي شيء آخر عن هذا العالم، ومن الواضح أيضاً أنه كان متكلّماً معتزليًّا.

سنة ٧٠٧.[٤] فمن الواضح إذًا أن كتاب ابن الملاحمي هذا قد وصل إلى اليمن أيضًا، ولكنّه لا يعرف وجود نسخة منه في الوقت الحاضر. ويذكر ابن الملاحمي في **كتاب الفائق** كتابين آخرين له، بالإضافة إلى **المعتمد**، بعنوان: (٤) **كتاب الحدود**، و (٥) **جواب المسائل الإصفهانية**. ويوجد أيضاً نصٌّ غير كامل لكتاب آخر لابن الملاحمي في مخطوطة في مكتبة بودلي (Bodleian Library)، ويسمى في بيان في آخر المخطوطة: (٦) **كتاب التجريد**. ويحتوي هذا الكتاب مختصراً عن **كتاب المعتمد في أصول الفقه** لأبي الحسين البصري، فلعلّ العنوان الكامل للكتاب هو **تجريد المعتمد في أصول الفقه**.[٥]

أما الأساتذة المباشرون لابن الملاحمي في علم الكلام فالمصادر تلتزم الصمت عنهم. وابن الملاحمي لا يذكرهم في كتبه الموجودة ولا يستشهد بكتب تنتمي إلى مدرسة أبي الحسين البصري، ما عدا مؤلفات مؤسس المدرسة نفسه. ولهذا، فإنه من غير الممكن الجزم في كيفية دخول مذهب أبي الحسين البصري، الذي علّم في بغداد، إلى خوارزم، أو حول وقع أثر هذا المذهب هناك قبل زمان

---

[٤] الديلمي، **بيان مذهب الباطنية وبطلانه**، تحقيق ر. ستروتمان، إستانبول ١٩٣٧، ص ٣٣، و٧٩.

[٥] مكتبة بودلي Ms. Arab. e. 103, (Bodleian Library). والبداية مفقودة وهنالك على الأقل ثغرة كبيرة واحدة بعد الورقة ١٥. وقد تمت المخطوطة في . ربيع الأول ٥٧٥ (وقد يكون ٥ ربيع الأول ٥٩٥) من نسخة تحتوي هذه الحاشية بخط يد المؤلف: «ويقول مجرد هذا الكتاب وهو محمود بن عبد الله الأصولي الخوارزمي قرأ عليّ هذا الكتاب قراءة فهم وإحكام الشيخ الإمام الجليل الصائن صنو الأئمة أبو سعيد جنيد بن محمود بن ناسان الدهستاني ووافق الفراغ من قراءته يوم الأربعاء غرّة ذي القعدة سنة أربع وثلاثين وخمسمائة.» وعلى هذا، تمت قراءة هذا الكتاب ستة عشر شهراً قبل وفاة ابن الملاحمي. وفي النص الموجود، لا يعرب ابن الملاحمي عن رأي من آرائه، إلا في مكان واحد (ورقة ٢٢ أ) حيث يشير إلى أن أحد آراء أبي الحسين البصري يتناقض مع مبدأ آخر له. وقد حقق كتاب **المعتمد** لأبي الحسين، محمد حميد الله، دمشق ١٩٦٥.

ابن الملاحمي. ولكن يمكن الإشارة هنا إلى ملاحظة أبداها ياقوت في سيرة حياة النحوي والأديب والطبيب أبي مضر محمود بن جرير الضبي الإصفهاني (توفي سنة ٥٠٧) بأن الأخير أدخل مذهب المعتزلة إلى خوارزم ونشره بها، وبأن الزمخشري كان من تابعي مذهبه.[٦] وكما كان شائعاً في ذلك الوقت، فقد جمع الضبّي ما بين الخبرة في الطبّ والفلسفة.[٧] فمن الممكن أن مذهبه المعتزلي كان هو نفس المذهب المتأثر بطريقة الفلاسفة الذي أنشأه أبو الحسين البصري، وهو أيضاً مارس الطب بعض الوقت فيما يظهر. وبينما يجب اتخاذ جانب الحيطة بالنسبة إلى ملاحظة ياقوت بأن الضبّي كان أول من أدخل الاعتزال إلى خوارزم،[٨] إلا أن الضبي قد يكون أول من أدخل مذهب مدرسة أبي الحسين البصري إلى هذه الجهة، وعلّم ابن الملاحمي بين تلاميذه العديدين هناك.

ولا يُعْرَفُ أحد من تلامذة ابن الملاحمي بالاسم. غير أنه، قد يكون بعضهم من خصوص المتكلّم الأشعري فخر الدين الرازي في مناظراته مع علماء المعتزلة خلال زيارته إلى خوارزم (حوالي سنتي ٥٦٠–٥٧٠). وفي أي حال، فإن الرازي قد اطّلع على مذهب ابن الملاحمي وذكره، بالإضافة إلى أبي الحسين

---

[٦] ياقوت، **إرشاد**، ج ٧، ص ١٤٥. يذكر الأندرسباني (ص ٣٦٨) وابن أخت الزمخشري (ياقوت، **إرشاد**، ج ٧، ص ١٤٧) الضبّي كمعلم الزمخشري في النحو والأدب فقط.

[٧] راجع البيهقي، **تتمة صوان الحكمة**، تحقيق محمد شفيع، لاهور ١٩٣٥، ج ١، ص ١٣٥.

[٨] يذكر الحاكم الجشمي (توفي سنة ٤٩٤) بين تلامذة القاضي عبد الجبار أبا محمد الخوارزمي ولكن هذا علّم في نيسابور. (عبد الجبار، **فضل الاعتزال وطبقات المعتزلة**، تحقيق فؤاد السيد، تونس ١٩٧٤، ص ٣٨٧). وبين تلامذة الحاكم الجشمي يذكر أحمد بن محمد بن إسحاق الخوارزمي الذي روى عن الجشمي للزمخشري. (راجع: W. Madelung *Der Imam al-Qāsim ibn Ibrāhīm*, Berlin 1965, p. 187)

البصري، في العديد من كتبه، مسمياً إيّاه محمود الخوارزمي.[٩] ويقول ابن المرتضى: إن الرازي اعتمد على رأي أبي الحسين البصري وابن الملاحمي في اللطيف وغيره من علم الكلام، يعني في المسائل التي لا تؤثر على العقائد الأساسية. ويذكر الرازي أيضًا بأنه من بين جميع مذاهب الاعتزال، لم يبق في زمانه إلّا مذهبان: مذهب أبي هاشم الجبّائي (توفي سنة ٣٢١) ومذهب أبي الحسين البصري.[١٠]

فعلى هذا، يجب اعتبار ابن الملاحمي الممثل الرئيسي لمدرسة أبي الحسين البصري في النصف الأول من القرن السادس الهجري. ومن المعروف أن علم الكلام المعتزلي غير الشيعي ساد في خوارزم على الأقل حتى مطلع القرن التاسع الهجري، أي إلى وقت طويل بعد اختفائه من سائر أنحاء العالم الإسلامي.[١١] ومن المحتمل أن المدرسة التي أسسها ابن الملاحمي لعبت دوراً هامًّا في هذا البقاء المتشبّث، مع أن الأدلة على ذلك محدودة. ومن الواضح أن المؤلف المهم بعد ابن الملاحمي الذي يمثّل هذه المدرسة هو تقي الدين، صاحب **كتاب الكامل في الاستقصاء فيما بلغنا من كلام القدماء** الموجود في شكل مخطوطة. وقد نُشرت وفسِّرت أخيراً مقتطفات من هذا الكتاب، وهو عبارة عن ردود، متحمسة في بعض الأحيان، على تعاليم مختلفة لمدرسة أبي هاشم الجبّائي مبنية

---

[٩] راجع D. Gimaret, *Théorie de l'acte humain en théologie musulmane*, Paris 1980 pp. 59-60, 135, 144. ولا يذكر الشهرستاني، الذي زار خوارزم قبل سنة ٥١٠، ابن الملاحمي، مع أنه يذكر أبا الحسين البصري وقد كان على علم بمذهبه.

[١٠] الرازي، **اعتقادات فرق المسلمين والمشركين**، تحقيق النشّار، القاهرة ١٩٣٨، ص ٤٥.

[١١] حول المعتزلة في خوارزم راجع: I. Goldziher, 'Aus der Theologie des Fachr al-dīn al-Rāzī', *Der Islam*, III, (1912), pp. 220 ff. W. Madelung, 'The Spread of Maturidism and the Turks', *Actas do IV Congresso de Estudos Árabes e Islâmicos Coimbra-Lisboa 1968*, Leiden 1971, p. 115-16. وأيضاً:

على أساس مذهب أبي الحسين وابن الملاحمي.[١٢] ولا يعرف حالياً شيء عن حياة المؤلف تقي الدين،[١٣] وغير أنه من الجليّ من كتابه أنه كان سنياً.[١٤] وقد يشير استعماله لنسبة الخوارزمي عند ذكره لابن الملاحمي إلى أنه لم يكتب هو في خوارزم. ويبدو واضحاً أنه عاش في أواخر القرن السادس، أو في أوائل القرن السابع الهجري، لأن الفقيه الحنفي الخوارزمي نجم الدين الغزميني، المتوفى سنة ٦٥٨، يستشهد بمؤلفاته. وقد كان نجم الدين مختار بن محمود الزاهدي الغزميني، وهو مؤلف **رسالة الناصرية** في مدح الإسلام التي قدّمها لبركة خان المغولي، ومؤلف شرحٍ رائجٍ لمختصر القدوري في الفقه الحنفي بعنوان **المجتبى**، هو ممثل آخر لمدرسة أبي الحسين. وتحت نفس العنوان، أي **المجتبى**، ألّف كتاباً في الأصول، أي أصول الدين وأصول الفقه.[١٥] ولا يبدو أن هذا الكتاب الأخير ما زال موجوداً،[١٦] ولكن كثيراً ما ينقل عنه العلوي الزيدي، المائل إلى آراء أهل

---

[١٢] Elsayed Elshahed, *Das Problem der transzendenten sinnlichen Wahrnehmung in der spätmu'tazilitischen Erkenntnistheorie nach der Darstellung des Taqīaddīn an-Nağrānī*, Berlin, 1983. ولم يبين مؤلف هذه الرسالة بأن ركن الدين الخوارزمي الذي يستشهد به تقي الدين في كثير من الأحيان هو ابن الملاحمي. ويذكر تقي الدين كتابي المعتمد والفائق لابن الملاحمي (ص ٥٦؛ ١٠٦). راجع أيضاً عرض كتاب الشاهد في *BSOAS* XLVII (1985)، ص ١٢٨–١٢٩ (و. ماديلونغ).

[١٣] لا يعرف حتى اسمه، ولا يرد في مخطوطة كتابه إلا نسبته إلى لقب تقي الدين. وهذه النسبة مكتوبة غير معجمة، ومن الممكن قراءتها إما النجراني أو البحراني. وعلى ما يظهر كان لتقي الدين نسبة أخرى تستعمل لتسميته في أماكن أخرى، وهو العجالي.

[١٤] راجع الشاهد، ص ٢٩.

[١٥] حول الغزميني، راجع ابن أبي الوفاء، **الجواهر المضيئة**، حيدرآباد، ١٣٣٢، ج ٢، ص ١٦٦؛ اللكنوي، **الفوائد البهيّة**، حققه محمد النعساني، القاهرة ١٣٢٤، ص ٢١٢–٢١٣؛ و Brockelmann, *GAL* I 381, suppl. I 656.

[١٦] قد تكون نسخة من هذا الكتاب مختفية بين المخطوطات العديدة لشرحه للقدوري بعنوان المجتبى أيضاً. راجع القائمة التي يوردها Sezgin, *GAS* I 453.

السنة، محمد بن إبراهيم بن علي بن المرتضى المعروف بابن الوزير (توفي سنة ٨٤٠)، في كتابيه **إيثار الحق على الخلق**[١٧] **وترجيح أساليب القرآن على أساليب اليونان**.[١٨] ومن خلال هذه النقول، يظهر أن نجم الدين الغزميني مؤيد ثابت لمذهب أبي الحسين البصري ضدّ مدرسة أبي هاشم،[١٩] وهو يروي أيضاً آراء خاصة لابن الملاحمي.[٢٠] وحسب ابن أبي الوفاء، قرأ نجم الدين الغزميني علم الكلام على سراج الدين يوسف بن أبي بكر السكّاكي الخوارزمي (٥٥٥-٦٢٦)، عالم البلاغة المعروف وصاحب **كتاب مفتاح العلوم**. وهكذا، فمن المحتمل أن يكون السكّاكي أيضًا من ناقلي مذهب مدرسة أبي الحسين وابن الملاحمي، على الرغم من أنه لا يبدو أنه قد كتب في علم الكلام. ولا تذكر المصادر معلّمه في الكلام، الذي قد يكون أحد التلامذة المباشرون لابن الملاحمي.

ويلتزم ابن المرتضى الصمت الكامل حول هذا الاعتزال السنّي بعد ابن الملاحمي ولكنه يشير إلى أنه، بالإضافة إلى فخر الدين الرازي، فقد تابع أكثر متكلمي الإمامية المتأخرين والإمام الزيدي المؤيّد بالله يحيى بن حمزة (توفي سنة ٧٤٧) مذهب أبي الحسين البصري وابن الملاحمي. ويمكن اقتفاء أثر نفوذ مذهبهم على علم الكلام الإمامي إلى سديد الدين محمود بن علي بن الحسن

---

[١٧] نشر في القاهرة في ١٣١٨.

[١٨] طبع في بيروت سنة ١٤٠٤. وتوجد نقول وجيزة عن كتاب الغزميني أيضاً في كتاب **العواصم من القواصم** لابن الوزير، تحقيق شعيب الأرنؤوط، عمّان ١٩٨٥-١٩٨٧.

[١٩] يسميه ابن الوزير أحد ناصري مذهب أبي الحسين البصري وأحد أئمة أصحاب الشيخ أبي الحسين البصري، (**ترجيح**، ص ١٩، ٩٤).

[٢٠] **إيثار الحق**، ص ٥١، **ترجيح**، ص ٤٣، ٨٧؛ (زكي الدين تصحيف ركن الدين)، ٨٩. ويسمي الغزميني تقي الدين مع اختلافٍ خاتمة أهل الأصول تقي الأمة (الأئمة) أو تقي الملة والدين العجالي (**إيثار**، ص ١١١؛ **ترجيح**، ص ٨٨، ١١٠-١١١) ويذكر كتابه **الكامل في الاستقصاء** (**ترجيح**، ص ١١١).

الحِمَّصي الرازي (توفي بعد سنة ٦٠٠). ومن المعلوم أن سديد الدين اعتمد في كتابه الرئيسي في علم الكلام المسمّى **المرشد إلى التوحيد** (الذي أتمّه في سنة ٥٨١) على **كتاب الغرر** لأبي الحسين البصري.[٢١] ويشار إلى آراء سديد الدين في مختصر غير كامل في علم الكلام الإمامي، موجود في مخطوطة في باريس، يلاحظ فيه بعض تأثيرات غير مباشرة لمذهب أبي الحسين[٢٢]، ويُذكر أيضاً في مخطوطة في مكتبة بودلي كمعارض صريح لمذهب أبي الهاشم الجبّائي القائل بأن المعدوم هو شيء.[٢٣] وفي زمن نصير الدين الطوسي (توفي سنة ٦٧٢) الذي أنشأ مذهباً جديدًا في علم الكلام الإمامي مبنياً على فلسفة ابن سينا، يبدو أثر تعليم

---

[٢١] آقا بزرگ الطهراني، **الذريعة إلى تصانيف الشيعة**، النجف والطهران ١٣٥٥–١٣٩٧، ج ٣، ص ١٥١–١٥٢. عن سديد الدين، إنظر أيضاً منتجب الدين الرازي، **فهرست أسماء علماء الشيعة**، تحقيق عبد العزيز الطباطبائي، قم ١٤٠٤، ص ١٦٤؛ وعبد الله أفندي الإصفهاني، **رياض العلماء**، تحقيق السيد أحمد الحسيني، قم ١٤٠١، ج ٥، ص ٢٠٢–٢٠٣؛ Modarresi Tabataba'i, *An Introduction to Shi'i Law* H.، لندن ١٩٨٤، ص ٤٦. وأما حِمَّص فقد كانت قرية من قرى الري على ما يذكر.

[٢٢] MS Paris, Bibl. Nat., Arab. 1252. ويسمّى سديد الدين بمحمود الحمصي في الورقات 36b و 96a. فمن الجليّ أن الكتاب قد ألّف بتأريخ متأخر بكثير من نهاية القرن الخامس، وهو التأريخ الذي اقترحه G. Vajda ('Le Problème de la Vision de Dieu) (*Ru'ya*) d'après quelques auteurs šī'ites duodécimains', *Le Shī'isme Imâmite*, ed. T. Fahd, Paris 1970, pp. 34 ,46). ويقول المؤلف بأن معتزلة بغداد ومتكلمي الإمامية ينفون صفة الإرادة الإلهية ويذهبون إلى أن الداعي كافٍ في وقوع الفعل عن القادر (ورق 18a). ولكن هذا هو مذهب أبي الحسين، وليس بمذهب معتزلة بغداد والشيخ المفيد الذي تبعهم. ويظهر أن المؤلف أخذ هذا الرأي عن سديد الدين.

[٢٣] Bodleian Library, MS Arab f. 64, fol. 103a: محمود الخوارزمي الحمصي. ومن الواضح أن لقب «الخوارزمي» هو إضافة خاطئة أدى إليها الاختلاط مع اسم محمود الخوارزمي، صاحب **الفائق**، الذي يذكر بعد ذلك بقليل. وعن المخطوطة، أنظر أيضاً الحاشية رقم ٢٧.

أبي الحسين وابن الملاحمي واضحاً كل الوضوح. ويسلّم العلامة الحلّي (توفي سنة ٧٢٦) في شرحه المسمّى **كشف المراد** لكتاب الطوسي **تجريد الاعتقاد** بأن الطوسي يتبع آراء أبي الحسين في كثير من النقاط التفصيلية، ويدعو ابن الملاحمي باسم محمود الخوارزمي.[٢٤] ويذكر معاصر الطوسي رضي الدين ابن طاووس (توفي سنة ٦٦٤) في **كتاب الطرائف في معرفة مذاهب الطوائف** ابنَ الملاحمي، ويصفه بأنه من أعظم علماء المعتزلة وشيوخ مذاهب اهل السنّة الأربعة.[٢٥] إلّا أن ابن طاووس كان معادياً لعلم الكلام، وإنما استشهد بابن الملاحمي لهدف الطعن على خصومه من أهل السنة. ولقد ذكر الإمامي كمال الدين ميثم بن علي البحراني (توفي سنة ٦٩٩)، وهو تلميذ الطوسي، بعض آراء أبي الحسين البصري وابن الملاحمي وتقي الدين، وغالباً ما دافع عنها في كتابه **قواعد المرام في علم الكلام**.[٢٦] وتشير بعض الدلائل إلى وجود عائلة من العلماء الإماميين، نشطت في الحلّة في النصف الأوّل من القرن الثامن الهجري، واعتنقت مذهب أبي الحسين وابن الملاحمي، في حين ردت بحدّة على مذهب مدرسة أبي هاشم، كما رفضت مذهب الكلام الفلسفي لمدرسة نصير الدين الطوسي. ويعرف من أعضاء العائلة شرف الدين أبو عبد الله الحسين بن علي القاسم بن محمد العودي الأسدي الحلّي، وشهاب الدين إسماعيل بن العودي، وأحمد ابن شرف الدين، الذي كان ما يزال يكتب في ذي الحجة عام ٧٤٢.[٢٧]

---

[٢٤] الحلّي، **كشف المراد في شرح تجريد الاعتقاد**، قم بدون تأريخ، ص ٢٣٧.

[٢٥] ابن طاووس، **الطرائف**، قم ١٤٠٠، ص ١٠٤ وما يليها، ٣١٣، ٣١٥.

[٢٦] قم ١٣٢١. وترد استشهادات من أبي الحسين في كثير من المواضع في الكتاب. ويُذكر ابن الملاحمي باسم محمود الخوارزمي في ص ١٤٧، كما يُسمّى تقي الدين بالعجالي في ص ٨٢.

[٢٧] ترد المعلومات عن هذه العائلة في MS Arab f.64، في Bodleian Library. وقد كتب هذه المخطوطة أحمد بن الحسين بن العودي لانتفاعه الشخصي، وهي تتضمن عدداً من

ولا يُعرف أي شيء آخر عن هذه المدرسة في علم الكلام الإمامي المبنية على مبدأ أبي الحسين، ويبدو أن مستقبل علم الكلام الإمامي كان لمدرسة الطوسي. أما النصيب الأكبر من النجاح الذي لاقته مؤلفات ابن الملاحمي، فقد كان بين الزيدية في اليمن، حيث لا تزال بعض هذه الكتب موجودة حتى الآن.[٢٨] ويبدو

النصوص تظهر موقف العائلة الكلامي. وهناك فتوى للشيخ نجم الدين أبو القاسم جعفر بن سعيد (أي المحقق الحلي جعفر بن الحسن [توفي سنة٦٧٦] وقد يسمى ابن سعيد في بعض الأحيان انتساباً إلى جده الأعلى) حول المكانة الشرعية للذاهبين إلى قول البهاشمة بأن المعدوم شيئاً حقّا أو ثابتًا. وينكر نجم الدين هذا المذهب، ولكنه لا يكفّر القائلين به ولا يفسّقهم (ورقة ٩٩–١٠٠). وبالعكس عن هذه الفتوى، هنالك فتوى لشرف الدين الحسين الذي يصرّ على أن هذا المذهب هو كفر، وعلى أن القائل به لا يصح أن يعطى من الزكاة (ورقة ١٠٠–١٠٤)، ويزعم أن هناك دعماً لموقف هذا في كتب الشيخ المفيد، والشيخ الطوسي (ويشير إلى رسالته **رياضة [العقول]** التي تظهر أنها مفقودة، راجع آغا بزرگ الطهراني، **الذريعة إلى تصانيف الشيعة**، النجف وطهران ١٣٣٥–١٣٥٨، ج ١١، ص ٣٤٠)، وأبي الحسين البصري، ومحمود الخوارزمي، أي ابن الملاحمي). وقد ساند شهاب الدين بن العودي مذاهب مدرسة أبي الحسين في رسالة كلامية منظومة (ورقة ١١٣–١١٩). وأيضاً، فهو يرفض رأي المعتزلة البهشميين القائل بأن الوجود زائد على الذات، ورأي «الفيلسوف» بأنه زائد على الذات في كل شيء ما عدا الله، ويؤيد موقف «البصراوي» (وقد استعمل تسمية أبي الحسين البصري هذه لضرورة الوزن الشعري) بأن الوجود ما هو إلا الذات في كل شيء (ورقة ١١٥أ). وهناك عقيدتان مجملتان لشرف الدين (ورقة ١٠٥–١٠٧) وابنه أحمد (ورقة ١٢٠–١٢١) مبنيتان أيضاً على مذهب أبي الحسين. تُرجع كلتا هاتين العقيدتين صفات كون الله مدركاً بصيراً سميعاً إلى صفة كونه عالماً. وهذا يتفق مع موقف المفيد وأبي الحسين، ولكنه لا يتفق مع موقف الشيخ الطوسي وابن الملاحمي.

[٢٨] وبين الكتب المنشورة والتي تعكس نفوذ مدرسة أبي الحسين البصري وابن الملاحمي على الزيديين اليمنيين يمكن ذكر **كتاب الأساس لعقائد الأكياس** للإمام المنصور بالله القاسم ابن محمد (توفي سنة ١٠٢٩). ويذكر المؤلف مدرسة ابن الملاحمي ويسميها بالملاحمية (تحقيق البير نصري نادر، بيروت ١٩٨٠، ص ٦٩، ١٢٨، ١٤٠، و١٨٩) وهو

أن كتب أبي الحسين البصري في علم الكلام قد فقدت في وقت مبكر، هذا إذا وصلت إلى اليمن أصلاً. وقد دُرس مذهبه بشكل أساسي من خلال كتابي **المعتمد والفائق** لابن الملاحمي.

ومن المعروف أن مذهب أبي الحسين البصري قد تأثر بعض الشيء بمفاهيم الفلاسفة المسلمين، وقد خالف في بعض المسائل تعاليم البهاشمة أو البهشمية، وهي مدرسة أبي هاشم الجبائي التي كان يمثّلها معلّمه القاضي عبد الجبّار (توفي سنة ٤١٥). ومن بين هذه المسائل إنكاره لنظرية الأحوال بالنسبة لصفات الله تعالى، ولقول البهاشمة بأن المعلوم هو شيء، ورده لصفة كون الله مريداً إلى صفة كونه عالماً، وتوقفه في الحكم فيما إذا كانت صفاته بكونه سميعاً بصيراً مدركاً منفصلة عن كونه عالماً. ومن الجدير بالذكر بالنسبة للمسألة الأخيرة أن ابن الملاحمي قد أيّد البهشمية في تأكيدهم لاستقلال صفة كون الله مدركاً.[٢٩] وعلى العكس من المذهب المعتزلي الشائع، فقد أقرّ أبو الحسين حقيقة كرامات الأولياء، وامتنع عن الالتزام بصحة نظرية الجزء الذي لا يتجزأ التي أقرّها علماء الكلام المعتزلة والأشاعرة على حدّ سواء.[٣٠] وبالنسبة لأفعال الإنسان، فقد قال أبو الحسين بأنها تحدث بالضرورة حسب دواعيها. وكما أشار فخر الدين الرازي، فإن هذا الرأى يقوّض دعائم مذهب المعتزلة بحرية اختيار الإنسان.[٣١] وعولجت

لا يورد اسم ابن الملاحمي في أي مكان، لكنه يذكر مذهب أبي الحسين البصري مراراً.

[٢٩] راجع المناقشة حول تقي الدين في الشاهد، ص ٥٠، ٩٧. يصف ميثم البحراني رأي أبي الحسين بأنه يتفق مع رأي أبي القاسم البلخي الكعبي، رأس مدرسة المعتزلة البغداديين، في إرجاع هذه الصفات إلى صفة العلم (**قواعد المرام**، ص ٩٠، ٩٥).

[٣٠] راجع أيضاً قائمة النقاط الخاصة بمذهب أبي الحسين البصري التي يوردها الشهرستاني، **الملل والنحل**، تحقيق و. كيورتون، لندن ١٨٤٦، ص ٥٩؛ والرازي، **اعتقادات**، ص ٤٥.

[٣١] راجع Gimaret, *Théorie* ص ٣٥، ٥٩-٦٠، ١٢٤-١٢٦.

بعض هذه النقاط أو ذُكرت في مناقشات ابن الملاحمي في **كتاب المعتمد**. ومن الأفضل تأجيل البحث المفصَّل عن آراء أبي الحسين البصري وابن الملاحمي إلى حين نشر **كتاب الفائق** للأخير.

ويعرب ابن الملاحمي في مقدمته عن نيته بأن يختصر ويكمل ويجدد أكبر تأليفات أبي الحسين البصري في علم الكلام، وهو **كتاب تصفُّح الأدلة**، الذي تصفَّح فيه حجج المعتزلة أي فحصها وانتقدها، كما فحص حجج خصومهم. ففي محاولته جعْل كتابه جامعاً، قد ضمَّن أبو الحسين هذا الكتاب العديد من الحجج الضعيفة والنقاط البديهية التي يمكن حذفها من دون الإساءة إلى الجوهر. ويقول ابن الملاحمي بأنه سوف يقدم حججاً جديدة من تأليفه، كما سيشير إلى المسائل التي يخالف فيها أبا الحسين الرأي، مع التأكيد بأن هذه المسائل قليلة. وكان أبو الحسين قد توفي عندما كان يؤلّف باباً في إنكار رؤية المؤمنين لله في الآخرة. ويعد ابن الملاحمي إتمام كتابه بنفس الروح التي اتّسم بها كتاب أبي الحسين، متّبعاً منهجه في الجزء الذي أتمه. ولكن الجزء الموجود من المعتمد لا يجاوز نهاية **كتاب تصفّح الأدلة** إلا قليلاً.

وبينما كان **تصفح الأدلة** المصدر والنموذج الرئيسي لابن الملاحمي، إلا أنه ينقل أيضًا عن العديد من الكتب الأخرى، إما مباشرة أو بطريقة غير مباشرة عن **التصفح**، ومعظم هذه الكتب مفقود الآن. فمن بين رسائل أبي الحسين البصري وكتبه يستشهد ابن الملاحمي بكتاب **الغرر**، و**شرح العُمَد**، وهو شرح لـ**كتاب العمد** للقاضي عبد الجبار، و**بمسألة في تعليق الدليل بالمدلول** أملاها أبو الحسين. وفي أماكن عديدة يشير إلى مؤلفات القاضي عبد الجبار وينقل عنها، وخاصة **كتاب المغني**، الذي قد كانت نسخة ابن الملاحمي منه فيما يظهر مختلفة عن النسخة المنشورة، **وكتاب المحيط بالتكليف**، وكذلك **شرح المحيط وتعليق المحيط**، وهما عنوانان قد يشيران إلى نفس الشرح لـ**كتاب المحيط بالتكليف**، **وكتاب الدواعي والصوارف**، **وشرح الجمل والعقود**. ويذكر أبو الحسين البصري

أيضًا آراءً للقاضي عبد الجبار سمعها منه في درسه. كما يذكر ابن الملاحمي كتاباً آخر غير معروف لابن متويه، تلميذ عبد الجبار، بعنوان **كتاب التحرير**. ويستشهد أيضًا بكتاب **جوابات (مسائل) التستريين** للشيخ المعتزلي عبد الله ابن العباس الرامهرمزي، وهو تلميذ ذو يسار وجاه لأبي علي الجبائي (توفي سنة ٣٠٣)،[٣٢] **وكتاب من قال بالعدل من المحدّثين** لشخص يدعى ابن أبي حية، ومن المحتمل أنه المحدِّث أبو القاسم عبد الوهّاب بن عيسى بن عبد الوهاب ابن أبي حية، المعروف بورّاق الجاحظ (توفي سنة ٣٠٩)،[٣٣] وبتفسيرَي القرآن للمحدث البصري العباس بن يزيد البحراني، قاضي همذان (توفي سنة ٢٥٨)[٣٤] للوليد بن أبان الإصفهاني (توفي سنة ٣١٠)،[٣٥] وبـ**كتاب التأريخ** لابن أبي خيثمة (توفي سنة ٢٧٩)،[٣٦] ومعظم هذه الاستشهادات هي من الأحاديث والأخبار. وهنالك إشارات مقتضبة من رسالة منسوبة إلى قابوس بن وشمكير،

---

[٣٢] **فضل الاعتزال**، ص ٣١٢، ابن المرتضى، ص ٩٥ وما يليها.

[٣٣] الخطيب البغدادي، **تأريخ بغداد**، القاهرة ١٩٣١، ج ١١، ص ٢٨ وما يليها. وهناك دعم قوي للقول بأن ابن أبي حية هو نفس عبد الوهاب بن أبي حية، إذ أن ابن أبي حية الذي يستشهد به ابن الملاحمي يروي عن محمد بن شجاع الثلجي، الفقيه الحنفي المعروف (توفي سنة ٢٦٦)، في حين أن سيرة حياة عبد الوهاب بن أبي حية تصفه بأنه روى عن الثلجي. ويصف الدارقطني، وهو من رواة عن ابن أبي حية، هذا الأخير بأنه ثقة. ولكن، ومثل الثلجي، وقف ابن أبي حية في القرآن، أي أنه رفض الإقرار بكونه غير مخلوق. ويظهر أن عنوان كتابه يشير إلى أنه أيد مذهب المعتزلة في العدل أيضاً بخلاف الثلجي.

[٣٤] **تأريخ بغداد**، ج ١٢، ص ١٤٢ وما يليها؛ أبو نعيم الإصبهاني، **ذكر أخبار إصبهان**، تحقيق س. ددرينغ، ليدن ١٩٣١–١٩٣٤، ج ٢، ص ١٤٠؛ الذهبي، **تذكرة الحفاظ**، حيدرآباد ١٣٢٥–١٣٢٧، ج ٥، ص ١٣٤ وما يليها.

[٣٥] **أخبار إصبهان**، ج ٢، ص ٣٣٤ وما يليها؛ **تذكرة الحفاظ**، ج ٣، ص ٦ وما يليها.

[٣٦] راجع حوله Ch. Pellat, in *EI*^{III}, s. v.، وقد اتهم بأنه قدري.

وإلى رسالة للمتكلم الحنفي محمد بن عيسى برغوث (توفي في حوالي سنة ٢٤٠)، وإلى **كتاب الأدوات** للعالم النحوي أبي الحسن الدهّان.[٣٧] والأهم من هذا هو استشهاده ببعض المقتطفات غير المعروفة سابقاً من **كتاب الآراء والديانات** للحسن بن موسى النوبختي. على أن أثمن استشهادات ابن الملاحمي هي المقتطفات الطويلة من كتاب **المقالات** لأبي عيسى الورّاق، ويعرب ابن الملاحمي عن نيته مناقشة مبادىء الفرق المخالفين في التوحيد كالثنوية، والنصارى، والمجوس، ودحض حجتهم بشكل أشرح مما فعله مشايخ المعتزلة في كتبهم المختصرة، والمتوسطة. ويستعمل كتاب أبي عيسى الورّاق، الذي يسميه كتابه **في الديانات**، كمصدره الرئيسي. وتناقش الأجزاء الموجودة من **المعتمد** مبادىء الدهرية، والمانوية، والديصانية، والمرقيونية، وبعض الفرق الثنوية الصغيرة، وتضم بداية وصف أبي عيسى لورّاق لمقالات المجوس.[٣٨]

المخطوطات

اعتمد تحقيق الجزء الغالب من الكتاب على المخطوطتين الفريدتين في الجامع الكبير في صنعاء، رقم ٢١٣ و٢١٤ **علم الكلام**. ولقد توفّرت لنا نسخ عن ميكروفيلمي المخطوطتين الموجودين في دار الكتب في القاهرة.[٣٩] والمخطوطتان

---

[٣٧] لا يعرف شيء عنه.

[٣٨] راجع W. Madelung, 'Abū 'Īsā al-Warrāq über die Bardesaniten, Marcioniten und Kantäer', in H.R. Roemer and A. Noth (eds.), *Studien zur Geschichte und Kultur des Vorderen Orients: Festschrift für Bertold Spuler zum siebzigsten Geburtstag*, Leiden 1981, pp. 210–24, وايضاً M.J. McDermott, 'Abū 'Īsā al-Warrāq on the Dahriyya', in *Mélanges de l'Université Saint-Joseph*, L (1984), pp. 387–402.

[٣٩] راجع **قائمة بالمخطوطتين العربية المصوّرة بالميكروفيلم من الجمهورية العربية اليمنية**، القاهرة ١٩٦٧، ص ٤٦ وما يليها، ميكروفيلم رقم ١٢٧ و ١٢٨. ولا يضم ميكروفيلم ١٢٧

مكتوبتان على ورق سميك لمّاع، بالخط النسخي القديم، ٢٤×١٥ سم. وحسب صفحة العنوان، فإن النسخة رقم ٢١٣ تضم الجزء الأول من **كتاب المعتمد**، وقد كُتبت للخزانة المنصورية السعيدة، أي مكتبة الإمام المنصور بالله عبد الله بن حمزة (توفي سنة ٦١٤) وتضم النسخة ٢٥٤ ورقة، و١٧ سطراً في الصفحة، وهي كاملة في نهايتها. أما النسخة ٢١٤، فهي مدوّنة بخط يدٍ أخرى، وتضم ١٤٦ ورقة، و٢١ إلى ٢٤ سطراً في الصفحة. وحسب صفحة العنوان، فهي تحتوي على الجزء الثالث من الكتاب، وقد كتبت أيضًا لمكتبة المنصور بالله. وقد يظهر من هذا الوصف أن الجزء الثاني مفقود بأكمله، بالإضافة إلى نهاية الجزء الأول، إلا أن تسلسل المواضيع لا يشير إلى وجود ثغرة متسعة كهذه بين المخطوطتين، كما أن المقارنة مع مضمون كتاب الفائق، وهو على العموم مختصر للمعتمد،[٤٠] لا تشير إلى هذا. لذلك، فإنه يبدو أكثر احتمالاً أن المخطوطة ٢١٣ تضم الجزئين الأول والثاني، ولكن مع إغفال ذكر عنوان القسم الثاني. ويعد الناسخ في نهاية المخطوطة ٢١٤ باستمرار النص في المجلد الثالث، مما يؤكّد أن المخطوطة لا تضم إلا المجلد الثاني. ومن الأرجح أن هذا التقسيم يتفق مع تقسيم الكتاب بأكمله إلى أربعة مجلدات كما هو مذكور في الحاشية المذكورة في سيرة حياة ابن الملاحمي. ومن المحتمل أن كل مجلد كان مقسوماً أصلاً إلى قسمين، وبالفعل، فإن نصّ كل من المخطوطتين يساوي تقريباً نص الأخرى في الطول. والمخطوطة ٢١٤ كاملة، ولا يرد ذكر اسم الناسخ أو تأريخ الانتهاء من النسخ. وفي ظهر الورقة الأخيرة نجد بداية وصف أبي عيسى الورّاق لمعتقدات المجوس، ومن الواضح أنه يشكّل بداية المجلد الثالث، والصفحة مكتوبة بدون عنوان بيد الناسخ نفسه، ثم شطبت.

الورقتين ١٦٥ و١٦٦، كما تصعب قراءة بعض الهوامش الداخلية. وقد سدّت هذه الثغرات بالعودة إلى المخطوطتين الأصليتين في صنعاء.

[٤٠] ولكن لا تتفق دائماً عناوين أبواب **الفائق** مع عناوين أبواب **المعتمد**.

وتضم الطبعة باباً آخر من المعتمد بعنوان «في أنه تعالى قادر على ما علم أنه لن يفعله وعلى ما أخبر أنه لا يفعله»، وقد وُجد هذا الباب في نهاية مخطوطتي **الفائق** في الجامع الكبير في صنعاء، رقم ٥٣ و١٨٩ **علم الكلام**.[٤١] ويشير ابن الملاحمي في بداية هذا الباب إلى أن بين الذاهبين إلى أن الله لا يقدر على فعل القبيح من يقول بأنه لا يقدر على ما علم أنه لا يكوّنه. ويضم **الفائق** باباً بعنوان «في أنه تعالى يوصف بالقدرة على القبيح»، وذلك في القسم في العدل. لذلك، فإنه من المحتمل أن الباب مأخوذ من القسم المفقود من **المعتمد** في موضوع العدل.

ومع ما يتّفق مع عادة النساخ في ذلك الوقت، فإن نقاط الأحرف لا تُستعمَل بصفة مستمرة في هذه المخطوطات. وفي كثير من الأحيان، تُزوَّد الأحرف الخالية أصلاً من النقاط بعلامة الإهمال وقد تؤدي قراءات خاطئة للناسخ للأحرف المهملة إلى زيادته لنقاطٍ غير صحيحة. وفي معظم هذه المواضع، تعتمد هذه الطبعة القراءات الصحيحة من دون إشارة إلى القراءات الموجودة في المخطوطات. كذلك، وقد عدّلت خصائص الكتابة القديمة والخاصة بذلك الوقت بشكل منظّم. وتضمّ هذه بشكل خاص كراسٍ قديمة للهمزة، وحذف الألف، واستعمال ألف بدلاً من ى أو بالعكس. وهذه بعض الأمثلة على ذلك:

الطبعة	المخطوطة
مسألة	مسله
لأن	لں
تعالى	بعلى

[٤١] حصلت لنا المخطوطة ١٨٩ في نسخة عن ميكروفيلم رقم ١٠١، دار الكتب، القاهرة. راجع **قائمة**، ص ٣١.

الطبعة	المخطوطة
أبو القاسم	ابو الفسم
الثلاثة	الثله
رئى	رؤى
هؤلاء	هاولا
كذا	كدى

وقد استُبْقِيَت الياء الأخيرة في كثير من الأحيان ولكن ليس دائماً، في الكلمات المنتهية بكسرة منونة مثل:

الطبعة	المخطوطة
صافٍ	صافى
معانٍ	معانى

وقد أشير في الطبعة إلى التصحيحات لهذا النوع الأخير من الكتابة الخاطئة.

أما الحواشي في المخطوطات، فقد وُسمت بعلامة **صح** التقليدية للإشارة إلى تصحيحات من النسخة الأصلية، و **خ** للإشارة إلى قراءة في نسخة أخرى، **وظ** للإشارة إلى تعديلات تقديرية. وقد دُمجت التصحيحات من النوع الأول في النص من غير إشارة إليها في هذه الطبعة، بينما أشير بانتظام إلى القراءات والتعديلات التقديرية من النوعين الثاني والثالث، بصرف النظر عما إذا كانت قد قبلت في النص أم لا. ومن سوء الحظ، يبدو أن بعض الحواشي قد قُطعت، ولربما يكون هذا قد حدث خلال إعادة تجليد المخطوطات. وجرى أحياناً تصحيح أخطاء نحوية في الطبعة، ولكن هذه الأخطاء لم تُصحَّح دائماً، ومن المحتمل أن عدداً كبيراً منها يعود إلى نفس المؤلف. وقد جرت الإشارة إلى كل هذه التعديلات.

طبعات الكتب المشار إليها في الحواشي هي:
عبد الجبّار، **المغني في أبواب التوحيد والعدل**، القاهرة، ١٩٦٠-١٩٦٥؛
ابن دريد، **جمهرة اللغة**، حيدرآباد، ١٣٤٤-١٣٥١؛
الشهرستاني، **الملل والنحل**، تحقيق و. كيورتون، لندن ١٨٤٦.

شكر

يودّ المحققان شكر دار اكتب بالقاهرة للّطف الذي أبدوه في توفير نسخ عن الميكروفيلم الذي في حوزتهم عن كتاب **المعتمد** لابن الملاحمي. ويودّان أيضاً الإعراب عن شكرهما للقاضي إسماعيل الأكوع، مدير الآثار والمكتبات في الجمهورية العربية اليمنية للمساعدة اللطيفة التي قدّمها، وللقاضي علي سليمان، وزير الأوقاف في الجمهورية العربية اليمنية، لتفضله بتوفير سُبل الوصول إلى مكتبة الجامع الكبير من أجل إتمام هذه النسخة عن المخطوطات الأصلية. ونحن أيضًا مدينان للأستاذ رضوان السيد في بيروت، للاهتمام الباكر الذي أبداه في مشروعنا، ولاستعداده في عام ١٩٧٩ لنشر هذه النسخة، إلا أن الأوضاع في بيروت قد منعت من نشر الكتاب هنالك. ونودّ كذلك شكر مطبعة الهدى لأخذها على عاتقها نشر هذه الطبعة.